ثنائية الآنا و الآخر في شعر محمد الفيتوري
ديوان أغاني عاشق من الذكريني يا إفريقيا أنموذجا

د.عبد العزيز شويط. جامعة جيجل/الجزائر

مقدمة

الأنا و الآخر ثنائية تعنى بها الدراسات الحضارية المتتبعة للمسار القومي في علاقاته ببقية الأقوام، وفق المصالح بين الأمم و الشعوب و في حالات السلم واللاسلم ، التقارب و التباعد ، المصالحة و العداء . و ثنائية الأنا و الآخر لا يمكن دراستها بمعزل عن السياق البيئي و الواقع التاريخي ، فهي متربعة على الجغرافيا و التاريخ و الإنسان و الأفكار ، و لذلك تقوم بين الأنا و الآخر عدة علاقات لتضمن مكوثهما على طرفي نقيض ، وقوف تلازم و تقابل بغض النظر عن حدوث التوازن أو عدم حدوثه ، هذه العلاقات هي المسوغات النظرية للتلازم والتقابل ، منها التوتر الدائم و النقيض و العداء و الصراع و النزاع .

المفهوم اللغوي و الاصطلاحي (التوسع و التوزع)

كلمة الآخر واضحة المعالم لعدم استعمالها في سياقات متعددة و من ثمة فمدلولها لا يزيد عن مدلول الغير سواء المسالم المنتمي أو المعادي المختلف ، المشكلة في مفهوم الأنا و لنبدأ أولا بالمدلول اللغوي .

يحدد المعجم العربي مادة أنا كما في لسان العرب لابن منظور الإفريقي بقوله:((ويصلح نحن في التثنية والجمع،فإن قيل لما ثنوا أنت فقالوا:أنتما وم يثنوا أنا ؟ فقيل:لمّا لم تجز أنا وأنا لرجل آخر لم يثنوا ، وأما أنت فثنوه بأنتما لأنك تجيز أن تقول لرجل:أنت وأنت لآخر معه،فلذلك ثني،وأما إني فتثنيته إنا،وكان في الأصل إننا فكثرت النونات فحذفت إحداها،وقيل إنا،وقوله عز وجل:إنا أو إياكم (الآية)(1)

Scanné avec CamScanner

المعنى إننا أوإنكم، فعطف إياكم على الاسم في قوله إنا على النون والألف كما تقول:إني وإياك،معناه إني وإنك فافهمه.،وقال:

إنا اقتسمنا خطتينا بعدكم فحملت برة و احتملت فجار

إنا تثنيته إني في البيت . قال الجوهري : و أما قولهم أنا فهو اسم مكني ، و هو للمتكلم و حده ، و إنما يبنى على الفتح فرقا بينه و بين أن التي هي حرف ناصب للفعل ، و الألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف،فإن و سطت سقطت إلا في لغة رديئة كما قال :

أنا سيف العشيرة ، فاعرفوني جميعا ، قد تذريت السناما)). (2) و هو ما يعني التعدد في الاستعمال على مدار الاستخدام التاريخي لهذه اللفظة و ما يساير هذا الاستخدام من تطور للغة .

في الاصطلاح و حسب المفهوم القديم للفظة وجدنا الجرجاني في التعريفات لا يعرض للأنا و إنما يعرض للإنية فيقول عنها من حيث كونها مصطلحا صوفيا : ((الإنية : تحقيق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية)) (3) و هو ما لا يخرج عن الاستخدام اللغوي المعجمي ، اللهم في إضفاء الصبغة الصوفية على اللفظة من حيث انتماؤها إلى هذا الحقل و ما يقتضيه الانتماء من أبعاد دلالية و علاقات شبكية ببقية المفاهيم المقاربة .

و لأن العصر الحديث قد شهد الازدهار المعروف للتحليل النفسي و توزع الفلسفة الغربية الحديثة بين الذاتية الفردانية و الجماعية الاجتماعية ، و لأن الأنا قد أصبح مفهوما من مفاهيم علم النفس الفرويدي و تعداه إلى يونغ و غيره فإننا قد استأنسنا بتعدي المفهوم من ذكره مجردا من أي إسناد لغوي مفردا إلى إسناده إلى لفظة الأعلى فعثرنا على تركيب الأنا الأعلى ، فلقد : ((رسم الأنا الأعلى للجماعة المتحضرة مثله العليا و طرح مطالبه . و من بين هذه المطالب مطالب تتصل بالعلاقات بين الناس فيما بينهم و يلخصها المصطلح العام: علم الأخلاق...)) (4)

Scanné avec CamScanner

هذا إذا عرفنا سلفا ما هو الأنا في حد ذاته ، حتى يتسنى للمنشغلين بهـــذا المفهـــوم إسناده إلى لفظة الأعلى ؟ .

يجيبنا عن هذا التساؤل صاحب المفهوم الجديد و هو سيجموند فرويد فيقول : ((لقد ذهبنا إلى أنه توجد في كل فرد منظمة دقيقة للعمليات العقلية "سميناها " الأنا ". و يشمل هذا الأنا الشعور ، كما أنه يشرف على وسائل الحركـــة ، أي تفريـــغ التهيجات في العالم الخارجي . و هو المنظمة العقلية التي تشرف على جميع العمليات العقلية، و هي التي تنام بالليل و لكنها مع ذلك تستمر تقوم بالرقابة على الأحلام . وعن هذا الأنا أيضا يصدر الكبت الذي تمنع به بعض نزعات العقل لا من الظهـــور في الشعور فحسب ، بل تمنع أيضا من الظهور في سائر صور الظهـــور و النشـــاط الأخرى)) (5) و منه لم نجد بعيد صلة بين هذا المفهوم للأنا من حيث كونه معبرا عن الذات الفردية أو عن أحد أجزائها و أجزاء الشخصية بينه و بين المفهوم اللغوي و حتى المفهوم الصوفي كما رأينا عند الجرجاني في التعريفات و الرجل يعتمد علـــى اصطلاحات وردت في كتب القوم كما يصرح في مقدمة كتابه .

ذات يوم كنا ندرسها في شكل الإستشراق أو ما تولد عنه و هو الاســـتغراب وما تبعه من أفكار الاستلاب و الغزو الثقافي و غير ذلك ، على اعتبار أن الحيـــزات المتدرجة التي يتحقق فيها التحيز و الانتماء تعتبر الغرب هو أهم آخر واضح المعـــالم من خلال موجات الاستعمار الحديث ، فالحيز المكاني القروي و المديني و الشرقي و الغربي و الشمالي و الجنوبي و الإفريقي و الآسيوي و الآفروآســـياوي و المغـــاربي و الشرقي و الجنوبي و الحيز الزمني القديم و الحديث و الحيز الجنسي المرأة و الرجل في ارتباطهما بالحيز القومي أو بحيز من الحيزات السالفة الذكر جميعها يعتبر الغرب هـــو الآخر و تمثل تلك الحيزات بأكملها هي و من تحيز إليها حتى و إن كان عنصرا من الآخر تعتبره من الأنا ، و إنما كان الأمر كذلك بفضل الاستعمار و الظلم الذي تولد

Scanné avec CamScanner

عنه حيث فصل بين أنا معين و بين آخر ما في سياق حضاري تاريخي معين نعيش منه واقعا حاليا .

فيما مضى كنت أعتمد في تحديد المفاهيم الفلسفية على المعجم الفلسفي المختصر الصادر عن دار رادوغا بالإتحاد السوفييتي ، رغم ميوله إلى تفسير الأفكار والتعبير عنها حسب إيديولوجية منشئيه و هي الإيديولوجية الاشتراكية و كنت كل مرة أحاول تجريد المفهوم من الطابع الإيديولوجي الشيوعي حتى وقع بين يدي معجم الأفكار لهشنسون و تلمست فيه الموضوعية فوجدته يقول عن الأنا : ((الأنا (eg) مصطلح في علم النفس يعني العمليات المرتبطة بالنفس و إدراك الفرد لذاته بما في ذلك القيم و الاتجاهات ، و حسب رأي فرويد تعني الأنا ذلك العنصر من العقل الإنساني الذي يمثل العمليات الواعية المرتبطة بالواقع و المتصارعة مع الهذا (id) العنصر الغريزي . و الأنا العليا عنصر الأخلاقيات . و قد استخدم فرويد هذا المصطلح بادئ ذي بدء لحفظ الذات .)) (6) و هو في هذا يجمع بين الجانبين المفهومي و التأريخي لهذا المصطلح .

الأنا و الآخر في مجال الأدب و النقد

قلما تطرق النقاد العرب المحدثون في مجال الدراسات الأدبية للأنا و الآخر في الشعر العربي ، و الأنا تدرس كما أسلفنا في حقل الدراسات الحضارية و الدراسات النفسية و الاجتماعية و منه التحليل و النقد النفسي للأدب ، لقد تركز البحث في صورة الآخر و ما قابله من صورة الأنا عند النقاد و الدارسين العرب المحدثين للأدب العربي و حتى الغربي على صورة الأنا أو صورة الآخر في الأدبين العربي و الغربي وحتى الصهيوني في مجالات أو أجناس المسرح و القصة و الرواية و السيرة و الرحلة الأدبية و قلما نعثر على دراسة تعنى بالأنا و الآخر في الإبداع الشعري.

Scanné avec CamScanner

إن سادنا من سدنة النقد العربي الحديث ، و هو الدكتور عز الدين إسماعيل حينما عرض إلى قصيدة برز فيها أنا الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي وهي قصيدة " أنا و المدينة " لم يسجل بروز الأنا و هو يحلل القصيدة من منظور التحليل النفسي للأدب و الأنا مفهوم نفساني فرويدي قبل أن يكون مفهوما حضاري أو اجتماعي و إن كان الرجل يعرض للقصيدة تحت عنوان فرعي هو (في الصورة الشعرية) . (7)

إن اتصاف هذه الثنائية (الأنا و الآخر) بالتميز و الاختلاف و اللاتجانس بين طرفيها ، بين الآخر و بين الذات أو و الأنا هو ما يعلل حضور الأنا و الآخر حضورا متلازما ، فإن لم تتوفر بعضها فمن الواجب أن يتوفر البعض الآخر ، التجانس بين البشري و البشري محقق و لكن التميز و الاختلاف في الخلق و الفكرة و العاطفة حاصل و مؤكد .

الهوية ، و مفهوم أو تبيين خصائص الهوية ، أو هوية الهوية هو الهم الذي تقوم عليه مثل هذه الدراسات ، و تفضي دائما إلى تحقيق الذات و تعزيز سلطتها ، و لاسيما في حالات التهديد بفقدانها ، إن أي محاولة لزعزعة استقرار الذات إما بإذابة الفواصل بينها و بين الآخر أو بالمحاولة للقضاء عليها هو ما يسبب انتفاضتها وانكماشها على عالمها أكثر و من ثمة مراقبة عمليتي الانفتاح و الانغلاق، فلا يصبحان يحدثان إلا بمقدار، خوفا على زوال هوية الذات و من ثمة زوالها ، فالزوال زوال و الذوبان في الآخر أيضا زوال .

و لذلك كانت محاولات السيطرة و التوسع و الاحتلال و الاستعمار و استغلال طاقات و مقدرات و ثروات الأمم سببا في تعميق الهوة بين الذوات و بروز التمايز وظهور الاختلاف و تعزيز الفوارق بين المعتدي و المعتدي عليه ، و تحولهما إلى طرفين في ثنائية الأنا و الآخر عبر اختلال التوازن العلائقي بينهما .

Scanné avec CamScanner

العلاقة بين الآنا و الآخر غير ثابتة فهي لزجة إلى أبعد الحدود ، إذ من الممكن أن يصبح عنصر من الأنا آخرا بمجرد مخالفته للمبادئ التي يسير عليها الأنا تنظيميا وأخلاقيا ، ليس فعلا غرائزي كما في مجتمعات حيوانية عديدة تقضي على الضعيف بمجرد ضعفه لأنه يمثل عبئا على الجماعة ، و إنما لترصد الخطر المحدق بالجماعة وبالحيز من انتقال العنصر من الأنا إلى الآخر حين يخدم أهداف الآخر و يعرقل أهداف الأنا و ما أسهل أن تنتقل دولة ما أو قبيلة ما أو فرد ما أو مجموعة ما أو حزب ما أو تنظيم ما أو غيرها من الأنا إلى الآخر و من حليف إلى معادي و من صديق إلى عدو حين يعمل ضد مصالح و خيارات و أهداف المجموع الأنا مما يعني خدمة الآخر و إن لم تتوفر النية .

ربما كانت أقوى الذوات على البقاء و التميز هي الذوات القومية أو الوطنية ، ولاسيما في ظل الزمن الراهن و السياسات التي تتبعها المجموعة الدولية ، و الاحتفاء بالأوطان و الدول و شخصياتها المعنوية و المادية المبنية على الرقعة الجغرافية و على الشعب و على التاريخ الحضاري لهذا الشهب ذي المصير المشترك ، إن اللبنة الصغرى لكل حيز هي الفرد و الحيز الأكبر أو الذات الكبرى الجامعة الشاملة هي الذات الإنسانية في منازعة الشيطان كما في الديانات السماوية ، و كما عند جميع المؤمنين ، و لذلك عد الفرد المؤمن عند الصوفية متحدا بالذات الإلهية العليا و حالا فيها في مقابل الذات الشيطانية و من تبعها و انحاز إليها و خدم أهدافها و حقق مشروعها على الأرض و كان من جنودها منتميا إليها عضويا أم اعتباريا قاصدا أم غير قاصد .

المشكلة إذن في الحيز ما قبل الأخير و هو الحيز الإنساني البشري غير القابل للتجزء و قبل انضمامه للذات العلوية غير الإنسانية طبعا كيف يمكن حسابه و هو غير قابل للتحيز و العلاقات بين أجزائه في غاية الاضطراب و تسودها التنازع والمعاداة ؟

Scanné avec CamScanner

و لذلك رأينا الكثير من الشعراء و المفكرين العرب مثلا يصطدمون بإسرائيل وبالغرب المستعمر و بالحروب الصليبية و غيرها فكيف يوفقون بين إنسانيتهم و بين أقوامهم و مصالحهم القومية و الدينية ؟ لولا أنهم لاذوا بميزان من العدل و القسطاس قوامه الظلم التسبب في الأذى و البدء بالأذية ليحكموا على الظالم بالإنسانية ويضمونه إلى مجموع قوى الشر بما في ذلك الفرد الظالم لنفسه ضمن الحيز الأصغر وهو القرية أو المحلة أو حتى الأسرة الواحدة .

الشاعر العربي السوداني محمد الفيتوري صوت صارخ في البرية(8) يحكي قصة قارة منفصلة عن المشيجة الأم مكونة طرفا ، مشيجة الأرض المقدسة و سرة الديانات المقدسة قارة آسيا ، لأمر ما هام جدا كانت معاناة هذه القارة برغم ما تزخر به من إمكانات تفوق بكثير إمكانات بقية القارات ، و لاسيما إذا ذكر الماء و ذكر الذهب الأسود البترول .

إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية(9) ، و قد قصت إفريقيا ذات يوم عن المجموع الجغرافي و الحيز المكاني الأم ، نعم لم تسلم بقية الأماكن من عوادي الزمن ودرامية المعاناة و المآسي ، و لكن معاناة إفريقيا الحاضرة و المستمرة يغطي عن كل معاناة لأي أحد آخر .

لن نميل بخصوص هذا الموقف إلى قول أبي فراس الحمداني :

معللتي بالوصل و الموت دونه == إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر (10)

و لن نميل أيضا إلى قول المعري :

فلا نزلت علي و لا بأرضي == سحائب ليس تنتظم البلاد (11)

فحالة كل واحد منها تختلف عن الآخر و ما يحس بالجمر إلا من وقف عليه(12)كما تمتعنا المأثورات الشعبية ، و لكن لعنة نوح لابنه حام حين اطلع على عورته و التي كان من نتائجها المترتبة عنها و التي قضت بأن يكون حام (13)خادما لأخويه عبدا يحكمان في نفسه و فيما يملك (14)سيطرت على الآخر المعادي

Scanné avec CamScanner

لإفريقيا(15) أكثر مما سيطرتا على باقي الأمكنة وأتت أكلها عند الأفارقة أكثر مما أتت أكلها عند أحد من أبناء حام فوق الأرض .

إن انشقاقها ذات يوم عن قارة آسيا و بقاء البحر الأحمر شاهدا على فرقة بعد لقاء قد فرق معه مصير هذه القارة السمراء و قد لقبت بذلك لسمرة سكانها و سواد بشرتهم .

من خلال وضوح الرؤية بالنسبة للشاعر و انتماءاته و حيزاته التنظيمية و غير التنظيمية ، فمحمد الفيتوري شاعر من الشعراء الرجال الثائرين السمر ينتمي إلى السودان العربي الإفريقي المسلم الشرقي الحديث في الظروف التي تمر بها الأمة العربية و الإفريقية و الآفروآسيوية و الشرقية و الجنوبية جمعاء و هي ظروف التسلط الغربي الشمالي المسيحي الأوروبي في شكل الاستعمار الحديث المتطور عن الحروب الصليبية و عن عنجهية و غطرسة بيزنطا و روما . من خلال كل ذلك إلى أي مدى كان الشاعر محمد الفيتوري ممثلا لأناه و محققا لهويته عبر جميع الأنوات التي ذكرناها والتي ينتمي إليها الشاعر ؟ و كيف عبر عن الآخر ؟ أو ما هي الذوات الجزئية المكونة للآخر ؟ و ما هي هوية الأنا و هوية الآخر في مفهوم الفيتوري ؟

لا يمكن تحديد معالم الأنا الذات دون معرفة الآخر ، أو على الأقل وعي التميز عن ذات أخرى هي الآخر ، يشهد على ذلك أن قولنا : ((من أنا ؟ سؤال قلما يطرحه الإنسان على نفسه ، نادرا ما يتأمل الإنسان تأملا داخليا ذاته . بل و حين يطرح المرء السؤال على نفسه فإنه غالبا لا يستطيع أن يقدم جوابا حقيقيا .

لأن الأنا حين يطرح السؤال على أناه ، فإنه ينشطر اثنين . أنا متأملة لأنا ، أي ينشطر الأنا إلى ذات و موضوع و هو أمر ليس باستطاعة الأنا أن يفعله . لا يستطيع الأنا أن يتحرر من حكم ذاتي حول ذاته .لا يستطيع ، الأنا أن يكشف عن أعماقه ، لا يستطيع أن يفسر لماذا هو على هذا النحو .

Scanné avec CamScanner

الأنا يعرف صفاته البيولوجية الظاهرة . يعرف حالته الشعورية في لحظة محـــددة معيشة . يعرف أنه الآن حزين و يعرف أنه سعيد أو غاضب أو عاجز عن الفعل أو قادر عليه ز لكن لو قال أحدهم للآخر أنا أشاركك حزنك ، أنا حزين لحزنـــك ، فهذا القول يحتمل الصدق و يحتمل الكذب .

إنه قولٌ ، الأنا وحده يعرف ما إن كان حزينا أو لا ؟

الحقيقة البسيطة و الواضحة التي يعرفها الأنا أنه ليس الآخر . و شعوره بالتمايز عن الآخر شعور حقيقي لا يستطيع أحد أن ينكر على الأنا هذا الشعور . لكـــن ، الأنا يشترك مع الآخر بكثير من الصفات الخارجية . فالمهنة المشتركة تخلق التشابه مع أقراني في هذه المهنة)) (16) و يمكن ــ في هذه الحال ــ أن تتحـــد الـــذوات الأنوات و تندمج كما تندمج الخلايا فتصبح خلية واحدة و تصبح الـــذوات ذاتـــا واحدة كما يمكن للذوات بفعل عامل المعادات و تعارض الأهـــداف و الطـــرق أن تنقسم على بعضها فتصبح الخلية خلايا و الذات ذواتا و الأنا أنوات منها الأنا و منها الآخر .

إن من تعرض إلى مفهوم الأنا في هذه الدرجة و هذا المستوى و هو المســـتوى الحضاري كانوا واعين بالمفهوم اللغوي الأول و المتطور حسب السياقات اللغوية في الاستعمال ، و منطلقين منه في تحديد معالم الأنا و الآخر.يقول أحمد برقاوي ((أنا في اللغة: ضمير رفع منفصل للمتكلم و المتكلمة . و من الأنا اشتق مصطلح الأنانيـــة و هي الأثرة . عبثا حاولت أن أجد جوابا شافيا على السؤال : لماذا أنا ضمير للمتكلم و المتكلمة.

لماذا لا يوجد في اللغة ضميران واحد للمذكر و آخر للأنثى حين يعـــبران عـــن ذاتهما .

أنا امرأة و أنا رجل ، بينما أنت امرأة و أنت رجل .

Scanné avec CamScanner

فيما يظل الفعل على حاله في أنا لدى اتصاله بأنا . ((أنا قلت)) يقولها المذكر وتقولها المؤنث .

أنا ضمير يبدأ به تأكيدا للحضور المتميز عن الآخر . في القرآن " إني أنا الله " مضمون الكلام أنا وحدي الله و ليس هناك إله غيري .

في خطبة الحجاج : " أنا ابن جلا و طلاع الثنايا " يخطب الحجاج في المسجد و أمام رهط من المصلين .

أنا متميز أيها المصلون . أنا لست كغيري من الناس . اعرفوني فأنا متميز . " أنا حر و مذهب كل حر مذهبي " يقولها أبو ماضي أنا هنا تأكيد لوجود ماهوي . أنا حر . أنا تشير إلى معرفة ذاتية أقدمها للآخر كي يعرف من أنا .

يعلن المتصوف في ندائه على الإله : يا أنا ، ليؤكد عدم الانفصال بينه و بين الإله . ليعلن التوحيد المطلق .

يمكن أن يقول الآنا للحبيبة : يا أنا . أو للإبن أو الإبنة ليؤكد أعلى درجات الحب ..." سجل أنا عربي" سياق القول : أن هناك من يريد أن ينفيه ، أن ينفيه يعني أن ينتزع منه هويته الذاتية ، فيأتي الجواب صارما : سجل أنا عربي.))(17) و من هنا رأينا ذلك التدرج الضروري من المفهوم اللغوي السياقي البسيط إلى المفهوم الفلسفي الحضاري المعقد .

و تبدأ التشعبات الفلسفية و الحضارية المكونة من التاريخ و الجغرافيا و الهوية الشخصية في البروز كلما تعلق المفهوم بالمجموعة و نأى عن الفردية . و منه فالأنا ((ليس جوهرا مفكرا . الأنا واقعة ، حالة ، لا وجود لها إلا ككلية ،كوحدة جسمية ، روحية ، نفسية ،أخلاقية .الأنا ليس فردا منعزلا ، لا وجود لحي بن يقظان .

الأنا شخصية حاضرة دائما في تجمع إنساني . إنها لغة ، قيم ، عادات ، طموحات ، أهداف ، رفض ، قبول ، كل هذا لا يتم إلا في حقل التجمع الإنساني بكل

Scanné avec CamScanner

مستوياته ، الأنا عمل ، سلوك . و العمل و السلوك مرتبطان بالآخرين . الأنا ليس مجرد إحساسات ، الأنا ليس بيولوجيا ، الأنا اجتماعية ثقافية .

الأنا إذن وجود كلي معقد ، لا يكتسب تمايزه إلا بالوعي الذاتي ، إنه وجود متمايز في العالم . و لأنه قائم في العالم فإن العالم قائم فيه .

إذا عدنا إلى انشطار الأنا بين الظاهر الخفي ، فلا يمكن فهم هذا الانشطار إلا بوجود الأنا في العالم ، و وجود العالم في الأنا . لكن وجود الأنا في العالم و وجود العالم في الأنا لا يلغي موضوعية العالم ، و لا موضوعية الأنا .

إذا هناك الأنا و العالم ، و العلاقة بين الأنا و العالم علاقة ترابط و علاقة تنافر في الوقت نفسه . و لو لم يكن هناك علاقة تنافر بين الأنا و العالم لما انشطر الأنا بين ظاهر و خفي .)) (18) فالشق الأول يمثل الذات و الوجود الجسمي و الروحي والعاطفي و يترع نحو هذه الأمور و الشق الثاني يمثل العالم و يترع نحو المجتمع والأخلاق .

يحق لنا و الحال هذه التساؤل التالي : ((ما هو هذا العالم الذي يوجد فيه الأنا و يفرض عليه الانشطار ؟

الطبيعة الجامدة غير الواعية لا تقيم علاقة مع الأنا ، الأنا هو الذي يقيم علاقة معها . إنها علاقة من جانب واحد . فهي ليست من صنف العالم الذي يقيم ترابطا بينه و بين الأنا . فالطبيعة وجود حيادي هيولي يشكلها الأنا وفق أهدافه و قدراته . العالم الذي نقصد هو العالم الذي يختزنه الأنا و يقيم علاقة ترابطية معه ، إنه العالم الثقافي السياسي الاجتماعي الأخلاقي القانوني .

و على الرغم من أن العالم هو من صنع الأنا تاريخيا ، لكن ليس هناك من أنا صانع له بمفرده . و بهذا المعنى هو موضوعي في علاقته بالأنا . لكن هذا العالم الموضوعي ليس حياديا تجاه الأنا إنه يفرض على الأنا أن يعيش وفق مشيئته . و لأنه عالم موضوعي فهو متعال على الأنا . يفرض عليه الالتزام بقوانينه . ها نحن وصلنا

Scanné avec CamScanner

إلى العالم كنظام متعال على الأنا يفرض عليه أن يسلك و فق مشيئته و أوامره . بحيث يخلق كل خرق له أو انزياح عنه أو تمرد عليه ، رد فعل سلبي كالدهشة والرفض و النبذ و الاستهزاء و الضحك و السخرية و العقوبة ، أو في حالات انتقال العالم من كيف إلى آخر فإنه ــ أي هذا الخرق و الانزياح و التمرد ــ يعطي للأنا قيمة : للأنا الذي يقوم بهذا كله .

النظام المتعالي الذي يخضع له الأنا متعين تاريخيا ، متعين طبقيا ، متعين مهنيا ، متعين مدنيا ، قرويا بدويا ... الخ .

فكل أنا إذا يجد نفسه في نمط من النظام المتعالي . و النظام المتعالي الكلي ، نظام المجتمع ، يفرض على الأنا سلوكا عاما فيما النظام المتعالي الخاص يفضي إلى تعدد في طريقة الالتزام به .)) (19)

و لم يجد سعد الدين كليب من مثال يضربه على تنوع الخطاب الإيديولوجي وبروزه اللافت في شعر الحداثة العربية على حساب الجمالية و الفنية في الشعر العربي الحداثي غير سميح القاسم من فلسطين و الفيتوري من السودان باترا النصين المقتبسين عن السياق الذي ورد فيه كل نص منهما و من البيئة التي تقتضي الموضوع و الفكرة اكثر من اقتضائها الفنية و الأسلوب الجمالي فضلا عن قيمة النصين جماليا ، حيث يذكرنا نص الفيتوري خاصة بسجل أنا عربي لمحمود درويش . يقول سعد الدين كليب محاكيا كلام الدكتور غالي شكري عن شاعر سوداني آخر هو كيلاني سند (20) : ((و بما أن شعر الحداثة قد رافق حركة التحرر الوطني العربية ، في تنوعها الإيديولوجي ، فقد كان من المتوقع أن ينعكس ذلك فيه . حيث حملت بعض نصوص هذا الشعر ، ذلك التنوع ، بشكل فج . فثمة نصوص ذات خطاب أممي ، وأخرى ذات خطاب قومي عربي سوري ، بل ثمة خطاب إفريقي أيضا . و هو ما يعني أن الوعي الإيديولوجي السياسي هو السائق للنص ، لا الوعي الجمالي الذي لا

Scanné avec CamScanner

علاقة له بذلك التنوع ، و إن يكن لنتاجه بعد إيديولوجي ما ... . يقول محمد الفيتوري في حطاب إفريقي ـــ زنجي :

قلها لا تجبن .. لا تجبن أ / قلها في وجه البشرية /

أنا زنجي .. و أبي زنجي الجد .. و أمي زنجية / أنا أسود ... /

أسود لكني حر أمتلك الحرية / أرضي إفريقية / عاشت أرضي .. عاشت إفريقية /

نلحظ أن هذه المقبوسات إذ تحول الإيديولوجيا إلى نص ، تقع فيما وقع فيه نص البياتي السابق ، حيث النثرية التامة ، و المنطق العقلي ، و التقريرية و الخطابية ، وغياب التعامل المجازي أو تداوله و ابتذاله ، و انعدام الإيحاء الجمالي . فعلى الرغم من الاختلاف الأيديولوجي بين هذه النصوص إلا أنها متفقة فيما بينها ، أسلوبيا ، و هو ما يؤكد أن الوعي السياسي يفرض أسلوبا موحدا ، على النص ، و إن اختلفت منطلقات ذلك الوعي . إذ إن للإيديولوجية منطقا محددا ، في نهاية المطاف .))(21) ، يقول ذلك الدكتور سعد الدين كليب و هو يوازن بين الفيتوري و بين البياتي في إحدى قصائده .

لقد كان الشاعر محمد الفيتوري إنسانيا من خلال وقوفه مع الإنسان المظلوم المقهور في أي بقعة من بقاع الأرض ، بما في ذلك السودان و إفريقيا ، و هي أولى بالمعروف من خلال الانتماء للحيز المكاني و النفسي السائد حاليا و هو القوم أو الوطن ، و لذلك يمكن عد الأنوات أو الذوات الجماعية المتوفرة في هذا الديوان بالإضافة إلى الأنا الوطني و الأنا القاري و الأنا الجنسي الزنجي و اللوني الأسمر أو الأسود الأنا العربي و الأنا الإسلامي و أنا عالم الجنوب المقهور المستعمر المحتلة أرضه .

لا تعارض بين القومية و الوطنية من جهة و بين الإنسانية في حال تجنب الظلم و الاعتداء. و لذلك كلما كان الشاعر مهتما بقضايا قومه و وطنه و أهله فهو

Scanné avec CamScanner

إنساني مادامت تسيطر عليه مشاعر الرأفة و الرحمة و الحزن لحزن الآخرين ، بل ويشفق الشاعر حتى على الإنسان المعتدي لأنه مريض مجنون بأفعاله .

الأنا المكاني : الأنا المكاني عند محمد الفيتوري هو المدينة السوداء و إفريقيا السوداء ، و السودان و هي قصائد له تحمل العنوان ذاته لهذه الأمكنة ، ففي قصيدة أحزان المدينة السوداء يظهر المكان ممثلا للأنا مقابل الآخر الممثل في الحزن بشتى أنواعه وأشكاله ، و بمآسيه و معاناته و بلونه الأسود القاتم و السواد على السواد ظلام وعذاب و ضبابية و معاناة و عذاب ، حقل دلالي أحالنا إليه تعبيره عن الحزن باللون و هو لون الليل و ظلمته و أساه و شقوقه و فرضه الحريق الذي لا استبيان لأطرافه وجرثومته فيزال و يطفأ . اللون الأسود إذن ذو وجهين ، أو لعله نوع من الأنواع يستجيب مع السعادة البيضاء و يفرخ ، فإذا ما تلاقح مع مثيله السواد المأساوي عبر مهاوي و شقوق الأرض في المدينة تذكرنا بها سبعين خريفا في جهنم تكون مأساوية المثيلين في سدوم و عمورة . يقول الفيتوري :

على طرقات المدينة / إذا الليل عرشها بالعروق / و رش عليها أساه العميق / تراها مطأطأة في سكينة /

محدقة في الشقوق / فتحسبها مستكينة / و لكنها في حريق /

على طرقات المدينة / و حين يشيد الظلام / تماثيله المرمرية / و يهدمها في عقوق/(22)

السواد على السواد في المكان يلغي رحابته و حريته و يكرس انغلاقه كسجن ، يعبر عن كل ذلك بالسفلية و الهبوط حتى تفضي به إلى سبات عميق من التقهقر والانحطاط و العذاب ، و التحذير بالحشيش . يقول الفيتوري مواصلا:

و تهبط بالكائنات / سلالمه اللولبية / لماض سحيق، سحيق / و تغرق في الذكريات / سواحله العنبرية و توشك ألا تفيق .

Scanné avec CamScanner

الديوان كتب لسواد عيون إفريقيا ، و فضلا عن انه يحتوي على خمس قصائد تحتوي على اسم إفريقيا هي على التوالي : البعث الإفريقي ، إغاني إفريقيا ، عاشق من إفريقيا ، صوت إفريقيا ، الحصاد الإفريقي ، غير أن كل حرف فيه تقريبا ناطق بإفريقيا سواء من خلال ذكر الزنج أو الأرض أو الشعب أو السودان أو بن بيلا ورفاقه أو جميلة أو السلطان تاج الدين أو بول روبنسون المغني . طبعا بحساب أنوات الزمن و التاريخ و المهنة الفنية و الوطنية و الثورة و التحرر . و مع ذلك ففي هذه القصيدة يعني الشاعر المدينة الإفريقية و ما كان متحدا معها في الأنا دون أي مدينة أخرى قد تكون الآخر بما في ذلك المدينة التي يسكن أحد محالها أو شوارعها عناصر من الأنا المقهورين و لو كانت في فرنسا أو أمريكا .

المدينة المكان في شعر الفيتوري تذكر مع الزمن و هو الصباح الصاحي المشرق المنير المزيل لعتمة الظلمة و هو الأنا المتحقق الهوية المبهج السعيد مزيل العذاب بالرؤية بالانعتاق بالبصيرة بالدفء بشعاع الشمس يتزاوج مع الجباه السمر فينتج خصب الحرية . يقول الفيتوري :

و ينهض في كل ذات جدار / من الطين ، و الماس ، و الشهوات / و ينعس ليل ويصحو نهار /

يصف القناديل للظلمات / هناك تجف دماء السكينة / جفاف القبور / و يصبح قلب المدينة /

كشيء حقير / كمدفئة في الهجير / كمسرجة في طريق الضرير / كإفريقيا في ظلام العصور /

عجوز ملفعة بالبخور و حفرة نار عظيمة / و منقار بومة / و قرن بهيمة / و تعويذة من صلاة قديمة /

و ليل كثير المرايا / و رقصة سود عرايا / يغنون في فرح أسود / و غيبوبة من خطايا / تؤرقها شهوة السيد /

Scanné avec CamScanner

و سفن معبئة بالجواري الحسان / و بالمسك ، و العاج ، و الزعفران / هدايا بـــلا مهرجان /

تسيرها الريح في كل آن / لأبيض هذا الزمان / لسيد كل زمان /

من جديد تعود الحفر و الشقوق و نار الهجير و ســخرية القــدر بســيزيف وصخرته و يعود الشؤم و المقاساة و تعود الوثنية و ظلامها الدامس في هذا المقطــع والسبب هو الرجل الأبيض المستعمر . لقد شبه الصباح بالقنديل لأن ليل إفريقيــة طويل طويل ، و نهارها قليل قليل رغم استحضاره لسفر التكوين في تعبيره عن خلق السماوات و الأرض من قبل الله (و يأتي نهار يعقبه ليل) و الفيتوري يعبر بذلك عن قصر عمر الزمن و طول عذاب إفريقيا .

لا السواد في " و لولا سواد المسك ما انباع غاليا " له طعــم و لا حــلاوة وجمال الرقصة الإفريقية لها طعم ، ما دام السيد الأبيض يتسلط علــى النفــوس و الأرواح و يكلكل عليهم كليل طويل على صدر امرئ القيس لا نهار بعده .

الأنا المكان أيضا وجدناه عند الفيتوري مجسدا في كلمة القارة و كلمة الاستواء.

الأنا الزماني:

يبرز الأنا الزماني في شكل المستقبل الواعد المأمول و المأمون و المملوء بالحريــة ، إنه البعث الذي تحدثت عنه أساطير الشرق الأوسط و الأدنى و لاسيما أساطير بابل و آشور و مصر ، ما بين النهرين و في الدلتا ، إنه بعث إفريقي يعد باليقظــة مــن السبات و النوم الذي تسببت فيه الأفعى ، العيش في الحلــم الأســود ، الكــابوس المرعب ، و السواد على السواد زيغ كما أسلفنا ، و تكون اليقظة من دال زمــاني آخر لا يقل وحشية عن الليل و الليل من الزمان ، إنه الماضي الإفريقي الأسود متروع منه العزة و الكرامة. و مثلما ارتبط المكان بالزمان في المقطع السابق ، إفريقيا القارة بالليل ، ارتبط في المقطع التالي الزمان بالمكان ، اليقظة و الليل بــالكوخ و المقــبرة

Scanné avec CamScanner

وارتبطت الأيام الحاضر آخرٌ أناه الغد المشرق ، و الظلام لا يكاد يفارقهـــا في أي مقطع نشيدي . يقول الفيتوري في قصيدة " البعث الإفريقي" :

إفريقيا ../ إفريقيا استيقظي .. / استيقظي من حلمك الأسود /

قد طالما نمت .. ألم تسأمي؟/ ألم تملي قدم السيد ؟ /

قد طالما استلقيت تحت الدجى / مجهدة .. في كوخك المجهد /

مصفرة الأكواخ../ معتوهة / تبني بكفيها ظلام الغد / جوعانة تمضغ أيامها/

كحارس المقبرة المقعد .. / عريانة الماضي .. / بلا عزة تتوج الآتي .. /

و لا سؤدد ا / (23)

لا يفارق الفيتوري جدلية المكان و الزمان في تفاعلهما ، فيعبر عن الزمان دائما مرتبطا بالمكان ، و لكن هذه المرة ليس كالمرات السابقة ، المرات السابقة كان لكل زمان يمثل الآخر أناه من الزمان و لكل مكان يمثل الآخر أناه من المكان أي تكون العملية متجانسة الأنا من جنس الآخر ، هذه المرة الأنا مخالف في جنسه للآخـــر . الأنا مكان و الآخر زمان . الأنا إفريقيا و الآخر ظلمة أو ليل طويل دائم دامـــس لا تنقضي ديمومته . يقول الفيتوري في القصيدة نفسها :

إفريقيا .. / إفريقيا استيقظي / استيقظي من ذاتك المظلمة /

كم دارت الأرض حواليك .. / كم دارت شموس الفلك المضرمة / و شيد الناقم ما هدمه / و حقر العابد ما عظمه .. / و أنت مازلت كما أنت ../ كالجمجمة الملقاة ../ كالجمجمه / واعجبا ا ألم تفجر شرايينك سخرياتهم .. / يا أمه ا /

الأنا اللون و الجنس:

اللون الأسود هو ما يميز جنس الزنوج ، و لذلك عرفت بالقارة الســـمراء لأن غالبية من يسكنها من السود أو الزنوج ، فتلاحم العرق باللون كان مميزا للشـــعب الإفريقي الغالب ، على الأقل الذي يعبر عنه الفيتوري .

Scanné avec CamScanner

إن إشكالية اللون و الجنس يمكن معالجتها حين تحسب كهوية من هويات الشعب الإفريقي و من ثمة فهي أنا من أنواته .

قد لا يدل الأصل الزنجي دائما على العبيد و الرقيق إلا في ثقافة الآخر اليونان وحتى العرب الجاهليين و بقية الآسياويين و الأوروبيين ، و لكن هذه الحقيقة لا مجال للاعتراف بها في مملكة الحبشة مثلا ، لا إبان الاحتلال الحبشي لليمن و لا إبان العصر الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وسلم .ذلك أنهم كانت لهم مملكة النجاشي العظيمة .

الفيتوري يتحدث عن معاناة الزنوج الأفارقة مع الرق و العبودية و البيع و الشراء في الماضي الآخر ماضي الحضارات القديمة وعلى مر العصور بما في ذلك في العصر الحديث ، ليس في جنوب إفريقيا فحسب بل حتى في أمريكا فيقول مخاطبا أخاه الزنجي مثله مستعملا ياء النداء و معبرا عن الأنا اللون و الجنس السواد و الأصل الزنجي في مقابل الآخر الأبيض الأوروبي و دائما في ظل الثنائية المركزية و المحورية ثنائية المكان و الزمان ، إفريقية و البلد و الأرض و المستقبل و الماضي :

جبهة العبد ونعل السيد ا / و أنين الأسود المضطهد ../ تلك مأساة قرون غبرت/ لم أعد أقبلها .. لم أعد ا / كيف يستعبد أرضي أبيض / كيف يستعبد أمسي وغدي ؟ / كيف يخبو عمري في سجنه / و جدار السجن من صنع يدي ؟ / أنا زنجي . ا / و إفريقيتي لي لا للأجنبي المعتدي / أنا فلاح و لي أرضي .. / التي شربت تربتها من جسدي / أنا إنسان و لي حريتي / و هي أغلى ثروة من ولدي/أنا حر مستقل البلد / و سأبقى مستقل البلد / (24)

و فعل سأبقى المرتبط بالتسويف القريب دليل على الثورة التي يعلنها الشاعر على كل من يعارض الشوق إلى الحرية ، بعد أن لوح بالعرق و الدم الذي سقى و يسقي الأرض الإفريقية و الأجساد الإفريقية الراغبة في الحرية التواقة إلى الانعتاق و المتشوقة إلى الاستقلال .

Scanné avec CamScanner

الأنا الثورة:

أنا الثورة و الثوار نعثر عليه أكثر ، و إن كان الديوان كله يفوح برائحة الثورة ، في ديوان الفيتوري من خلال قصيدتين : الأولى هي " صوت إفريقيا " و الثانية يتحدث فيها عن ثورة من أعظم ثورات الشعوب الإفريقية و هي الثورة الجزائرية من خلال حديثه عن رموزها و هي قصيدة " إلى بن بيلا و رفاقه "

القصيدة الأولى تحمل معنى الثورة و توحد الشاعر بالثورة كما توحد من قبل بأنا المكان إفريقيا و توحد بالأنا الزمان الغد المشرق ، كل ذلك من خلال الصوت الصارخ ، صوت الأنين و الولادة ، هدير البحر و تدفق الأنهار و على رأسها نهر الكونغو حيث يقول في حوارية مكونة من سؤال واحد و عدة أجوبة يستبين في حنين و أمل و ترج صوت الثورة :

صوتك هذا ؟ / إني أكاد ألمسه / أكاد أن أنشق في غصونه / رائحة الأرض و عرق الجباه /

أكاد أن أسمع في خفوقه / تدفق " الكونغو" العظيم بالمياه / صوتك يا إفريقيا .. /

هذا الذي يهزني هز الأعاصير صداه / أحبه .. و هو انفعال .. / و دم يغلي .. و ثورة مطبقة الشفاه /

أحبه .. و هو بريق أعين / تشنجت فيها إرادة الحياه / أحبه .. و هو خطى عارية / تحفر في الأرض مقابر الغزاه / أحبه لأنه صوتي أنا .. / صوتك يا إفريقيا .. / صوت الإله / (25)

إنها الثورية الصوفية ، أو الصوفية الثائرة عند الفيتوري ، حيث تتوحد الثورة بين المكان و الفرد الذي ينتمي إليها ليغير ما بها .

القصيدة الثانية التي اخترناها للتدليل على الأنا الثوري للفيتوري هي قصيدة " إلى بن بيلا و رفاقه " و هي تبرز الأنا الثوري الشمولي ، كما كان الأنا المكاني شموليا أيضا .

Scanné avec CamScanner

الفيتوري من خلال هذه القصيدة يعطي فضاء أرحب لأناه لعله يتمتع ببعض الأزر على الآخر و يستند إلى ثورة حققت النجاح الكبير فهي أمل الحرية و أمـــل الغـــد الأفضل لجميع الأفارقة ، إنها ثورة السبع سنين الثورة الجزائرية . يقول الفيتوري عن أناه الثوري مجسدا في ثورة الجزائر متأسيا متعزيا :

سبع سنين ، و أياديكم تطرق باب التاريخ / تبني هرما للحرية / تبنيه بعظام الشهداء /

بإرادة مليون ضحية / تنقش في الصخر حكاية جيل من أمجاد /

جيل يصحو ، و صباح البعث على ميعاد / جيل يحمل في جنبيه عبق الأجداد /

جيل لم يرهبه عصر التقتيل/عصر النقمة..عصر الثورات/عصر الأحزان الغربية/(26)

إذا كان ماضي العبودية ماض بعيد طويل يمثل للفيتوري الآخـــر فقـــد اســـتبدل بالماضي العيد الآخر ماض قريب مشرف هو ما ضي الثورة الجزائريـــة الإفريقيـــة ، فأصبح الماضي أنا الفيتوري من خلال ثورة الجزائر التي يرسم الفيتوري من خلالهـــا الدرب لكل من يريد الثورة لتحقيق الحرية مثالا يحتذى به في العالم .

الأنا الثوري جامع للمكان و الزمان لاعتماده عليهما معا ، و لذلك فالفيتوري يعي تمام الوعي بأن الجزائر إفريقية فيقول :

سبع سنين ، و بلاد جميلة رافعة الرايات / سبع سنين و النار تضيء خطى الأحرار /

و تمزق ليل البشرية / إني أحني رأسي كبرا / إني أحفظه في إكبار / فأنا إفريقي /

و جزائر بن بيلا إفريقية /

إن المؤمنين كما في المأثورات الدينية أذلة فيما بينهم أعزة علـــى الكـــافرين ، وكذلك الثائرين المؤمنين بالثورة و الحرية ، و لذلك يحيي و يخفض الفيتوري رأســـه لأمجاد وتضحيات و ضرب المثل في البطولة و الشهادة عند الثوار الجزائريين مما يجعله عزيزا أكثر ، و شتان بين طأطأة الرأس في العبودية و طأطـــأة الـــرأس في التحيـــة

Scanné avec CamScanner

والاعتراف بالفضل و الجميل و القيمة . لا يمنع الفيتوري من طأطأة الرأس احتراما وتقديرا أحد و لكنه يأبى أن يفعل ذلك ذلا و عبودية و لو شرد و قتل و مثل به .

يقول الفيتوري مخاطبا بن بيلا و مخاطبا من خلاله الحرية يترجاها كي تقبل كعروس و كشموس بعد الظلمة و البرد و الصقيع :

يا بن بيلا .. / ما أجمل أن يصحو إنسان / فإذا التاريخ بلا قضبان /

و إذا الثورة في كل مكان / تركز أعلام الحرية / في أرضي .. في إفريقية /

الآخر هنا هو الليل دائما و من تسبب في إطالة عمره ليفسد أعراس إفريقيا ويبعدها عن تحقيق الذات و الذات هي الوجود في حرية .

الخاتمة:

هكذا إذن رأينا أهم المسارح التي لعبت فيها الذات حضاريتها من خلال تحقيق الهوية ، بما في ذلك الثورة ، فالثورة هوية الثائر الذي مل سنين الجمر و العبودية ، ورأينا كيف تمثل الفيتوري الهوية الإفريقية بالصورة و على عمودي البيئة : المكان والزمان فنسينا و نحن نسير وراء معاني شعره ما تميز به هذا الشعر أحيانا من خطابية و تقريرية نبه إليها كل من الدكتورين غالي شكري و سعد الدين كليب .

الحق أن البحث في تجليات الأنا و الآخر و تجسدهما في الأشياء أكثر طرافة من طرافة البحث في أنا و آخر المكان و الزمان و الثورة ، ذلك أن الشاعر يعطي عبر الأشياء فضاء أرحب للتعبير عن أناه في شكل الصخور و الأشجار و الحيوانات و ما إليها من أشياء .

الهوامش:

1- سورة سبأ : الآية : 24 . ((و إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)).

2- ابن منظور : لسان العرب المحيط ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط ، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل و دار لسان العرب، بيروت لبنان د ط ، 1988 ، المجلد الأول،ص : 122 . (مادة : أنن)

Scanné avec CamScanner

3- علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ، تحقيق عادل أنور خضر ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2007 ، ص : 40 .

4- سيجموند فرويد:قلق في الحضارة ،ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ،ص : 114 .

5- سيغموند فرويد: الأنا و الهو ، ترجمة :محمد عثمان نجاتي ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط 04 ، د ت ، ص : 31 . راجع في ذلك أيضا : أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، دار القلم بيروت لبنان ، د ط ، د ت .

6- ـــ هتشنسون : معجم الأفكار و الأعلام ، ترجمة خليل راشد الجيوسي ، مراجعة و تنقيق رانيا نادر ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2007 ، ص : 47 .

7- راجع في ذلك : عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت لبنان ، ط 04، 1981، ص : 100، 101 .

8- انزياح تعبيري يشير إلى حديث الإنجيل عن يوحنا المعمدان (النبي يحي عليه السلام) في زمن السيد المسيح عليه السلام ، و تعبير الإنجيل كما يلي : ((فإن هذا هو الذي قيل عنه بأشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية ...) راجع : العهد الجديد ، إنجيل متى، الإصحاح الثالث ، ترجمة جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ، بيروت لبنان ، د ط ، 1977 .

9- من معنى حديث نبوي شريف .

10- أبو فراس الحمداني : الديوان ، رواية أبي عبد الله الحسن بن خالويه ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2005 ، ص : 157 .

11- راجع ديوان أبي العلاء المعري .

12- مثل شعبي جزائري دارج يقول : ' ما يحس بالجمرة غير اللي مطا عليها "

13- و راجع أيضا في هذه المسألة (أصل الأفارقة الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي) وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار المغرب الإسلامي بيروت لبنان ، و الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط المملكة المغربية ، ط 02 1983 . من حام بن نوح سواء من الفلسطينيين أو من إفريقش ملك اليمن من حمير الذي تغلب عليه الآشوريون ففر إلى إفريقيا و هم أبناء كوش بن حام بن نوح) : ، ص : 27 و ص : 35 . و راجع عبارة العلامة ابن خلدون بعد أن يذكر بالاعتماد على التوراة دائما أن حام هو أصغر أولاد نوح و هما سام و يافث و هي: ((و حام أبو الحبش و الزنج و في بعضها السودان)) راجع في هذا : عبد الرحمن ابن خلدون : التاريخ ، تصحيح أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، عمان الأردن و المؤتمن للتوزيع المملكة العربية السعودية ، د ط ، د ت ، ص : 333 (طبعة مضغوطة في مجلد واحد)

Scanné avec CamScanner

14- راجع مسألة دعاء نوح على ابنه حام أن يظل عبدا لأخويه سام و يافث في التوراة ، و يعتقد أن الزنوج و سكان إفريقية في غالبيتهم من أبناء حام بن نوح كما يذهب إلى ذلك العديد من الإخباريين المسلمين : الكتاب المقدس : سفر التكوين ، الإصحاح التاسع ، ترجمة تفسيرية ، ط 04 ، 1992 ، مصر الجديدة القاهرة مصر.

15- في مسألة الاستعمار الغربي و سيطرته المتوحشة على القارة السمراء و مسألة السكان في إفريقيا و انقسامهم إلى بيض و سود راجع : بياربونت و ميشال إيزار : معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا ، ترجمة مصباح الصّمد ، المعهد العالي العربي للترجمة ، الجزائر ، بمد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت لبنان ، ط 01 ، 2006 ، ص : 111 ــ 117 .

16- أحمد برقاوي : الأنا ، دمشق د ط ، د ت ، ص : 13 .

17- أحمد برقاوي: المرجع نفسه ، ص : 07، 08 .

18- أحمد برقاوي : المرجع نفسه ، ص : 16.

19- أحمد برقاوي : المرجع نفسه ، ص : 16، 17 .

20- يقول الدكتور غالي شكري عن قصيدة لكيلاني سند تتحدث عن إفريقيا : ((و تمضي القصيدة إلى نهايتها بهذه الرتابة في الوزن و الروي و التقفية حتى ليحس المرء أن العباسيين و الأندلسيين كانوا أكثر ثورية من بعض شعراء القرن العشرين . القصيدة هنا تعتمد على " الغموض " و " الموضوع " ، و من ثمة تقترب من مفهوم " النشيد " الذي يضج من حوله السامعون في مناسبة سريعة موقوتة . إن جناية الاتجاه الواقعي في بعض التطبيقات ــ على معنى الإيديولوجية ــ لا حدود لها ، فقد أصبح " شعرنا " المعاصر في مصر مليئا بالقضايا و لكنه خال خلوا تاما من الشعر)) راجع : غالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين ؟ دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1978 ، : 178 .

21- سعد الدين كليب : وعي الحداثة ، دراسات جمالية في الحداثة الشعرية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د ط ، 1997 ، ص : 148، 149.

22- محمد الفيتوري : أغاني عاشق من اذكريني يا إفريقيا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، د ط ، 1968 ، ص : 19 ــ 23 .قصيدة " أحزان المدينة السوداء "

23- محمد الفيتوري : المصدر السابق ،. قصيدة " البعث الإفريقي" . ص : 24

24- المصدر نفسه ، ص : 36 ، 37 . قصيدة " أغاني إفريقيا "

25- المصدر نفسه ، ص : 142 ، 143 . قصيدة 3 صوت إفريقيا "

26- المصدر نفسه ، ص : 158 ، 159 . قصيدة " إلى بن بيلا و رفاقه "

Scanné avec CamScanner